الفصل الثامن

بيانه ﷺ لصفات الطائفة المنصورة ببيت المقدس

أولاً: موطن الطائفة المنصورة

من منَّا لا يحب أن يكون ممن يشهد لهم رسول الله ﷺ بالثبات على هذا الدين والتمكين في الأرض، رغم كل المعوقات والبلايا والمحن؟!

من منَّا لا يحب أن يكون ضمن الفئة الظاهرة على الحق، المؤيّدة بنصر الله تعالى؟!

من منَّا لا يحب أن يكون من الفئة التي تنصر الحق وأهله، وتثبت في وجه أعداء هذا الدّين الذين يحاولون استئصال شأفته والقضاء على أتباعه؟!

من منَّا لا يحب أن يتحلَّى بأوصافها التي نعتها بها رسول الله ﷺ ويقتفي أثرها؟!

إنه أمل كل مسلم أن يكون هو وأبناؤه وأحفاده وذريته من بعده على ذات النهج الذي خطّه لنا النَّبي عليه الصلاة والسلام وسار عليه أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم أجمعين..

إنه أمل لم يغب عن تلك الثلّة المؤمنة من السابقين الأولين من أصحاب رسول الله ﷺ، فبادروا بالسؤال عن مقر تلك الفئة الظاهرة، عساهم يحظون بشرف الانتماء إليها، هم وذريّاتهم من بعدهم.

فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: "**لا تزال طائفة من أمتي على**

الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك".

قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: "**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**"(١).

وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة**"(٢).

قال معاذ: هم بالشام، وجاء في حديث آخر: هم ببيت المقدس، وقيل: أهل الشَّام وما وراء ذلك(٣).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النَّبي ﷺ قال: "**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق، وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة**"(٤).

---

(١) الراوي: أبو أمامة، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ٧/ ٢٩١، خلاصة الدرجة: [رجاله ثقات]. وقد خرجه الطبراني: برقم ٧٦٤٣، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند: ٥/ ٢٦٩، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٨): رواه عبد الله بن أحمد وجادة من خط أبيه، والطبراني ورجاله ثقات، قلت: (إبراهيم العلي): الحديث صحيح لشواهده. وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: ٤/ ٥٩٩: إسناده ضعيف وله شاهد بنحوه.

(٢) الراوي: سعد بن أبي وقاص، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٧٦٩٧، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وقد أخرجه مسلم في صحيحه: برقم ١٩٢٥، وأبو يعلى: برقم ٧٨٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ٣٥٥١.

(٤) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ١٠/ ٦٣، خلاصة الدرجة: [رجاله ثقات]. وقد أخرجه أبو يعلى: برقم ٦٤١٧، وجاء في المطالب العالية رقم (٤٢٤٤، ٤٥٤٢): وسكت عنه البوصيري، وانظر: فضائل الربعي: رقم ٢٩، ص ٦٠، والحديث صحيح (إبراهيم العلي).

إنهم هم الذين يصمدون في وجه أعتى هجمات الكفر كما وصفهم الحديث:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجّال**"(١). وزاد في رواية «وأومأ بيده إلى الشام»(٢).

إنه هديٌ نبويٌّ شريف، أسر قلوب أصحابه وأتباعه، فنقله بعضهم لبعض واستبشروا به، وهو ما يظهر جلياً واضحاً في الروايات الآتية: فعن عمير بن هاني قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما على هذا المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**".

فقام مالك بن يخامر السكسكي، فقال: يا أمير المؤمنين، سمعت معاذ بن جبل يقول: «وهم أهل الشام»، فقال معاوية ورفع صوته: هذا مالك، يزعم أنه سمع معاذاً: «وهم أهل الشام»(٣).

وعن أبي عبد الله الشامي قال: سمعت معاوية يخطب وهو يقول: يا أهل الشام، ثنا الأنصاري، يعني زيد بن أرقم أنّ رسول الله ﷺ قال: "**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون حتى يأتي أمر الله**".

«وإني أراكموهم يا أهل الشام» لفظ الطيالسي.

---

(١) الراوي: عمران بن حصين، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ١٩٥٩، خلاصة الدرجة: [صحيح على شرط مسلم].

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٤٣٧، وأبوداوود: برقم ٢٤٨٤، والطبراني في الكبير: ١٨/ ١١١، ١١٦، ٢١١، ٢٢٨، والحاكم: ٤٠/ ٤٥٠، ٢/ ٧١، والخطيب في شرف أهل الحديث: برقم ٤٦، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والحديث صحيح.

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري: برقم ٣٦٤١، ٧٤٦٠، ومسلم: برقم ١٠٣٧، وأحمد في المسند: ٤/ ٩٣، ١٠١، وابن ماجه: برقم ٩، والطبراني في الكبير: ١٩/ ٣٨٣: رقم ٨٩٩، وفي مسند الشاميين: رقم ٥٥٣، وليس عندهم قول مالك إلا البخاري وأحمد.

وفي لفظ أحمد "**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**"، «وإني لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام»[(١)].

وعن مرة البهزي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**لا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، وهم كالإناء بين الأكلة، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**". قلنا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: "**بأكناف بيت المقدس**"[(٢)].

إنه المسجد الأقصى وأكنافه المباركة، يتكفله الله تعالى بالعناية والحماية بفئة فريدة من نوعها ينبتها إنباتاً كما أشجار الزيتون من حوله.

فئة يكلؤها برعايته، ويحفظها بحفظه، فلا يقهرهم عدوٌّ غاشم متجبر، ولا يضرُّهم مخالفٌ متآمر، ولا يزعزع أركانهم كثرة المخذِّلين والمتخاذلين..

فكيف لا ينغرس حبّه في النفوس وهذا وصفه وتلك صفات المرابطين من حوله؟

وكيف لا تفزع الأمة وتستنفر كل طاقاتها لخدمة تلك الطائفة الظاهرة على الحق؟ كيف لا تُسخِّر كل ما تملكه للمشروع الجهادي المقاوم ببيت المقدس وأكنافه المباركة؟

على كل واحد منا أن يقف وقفة تفكر مع هذا الحديث، فإن لم تكن أنت من هذه الطائفة، ولم يتح لك الوصول إلى تلك البقاع المباركة، فهلا أرسلت مالاً

---

(١) أخرجه الطيالسي: رقم ٦٨٩، وأحمد في المسند: ٤/ ٣٦٩، والبزار كما في كشف الأستار: ٤/ ١١١ رقم ٣٣١٩، والطبراني في الكبير: رقم ٥٩٦٧، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٧): رواه أحمد والبزار والطبراني وأبو عبد الله الشامي ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد وبقية رجاله رجال الصحيح، قلت (إبراهيم العلي): والحديث صحيح لغيره، وقد صححه الألباني: برقم ١٩٥٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٠/ ٣١٧-٣١٨، رقم ٧٥٤، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله لشواهده في الصحيحة: رقم ٢٧٠، ١٩٥٧.

تجاهد به وترفع صوتاً داعماً، أو قراراً يحتضن رجال المقاومة الذين هم مظنَّة أن يمثلوا تلك الطائفة المنصورة المباركة على أرضنا المباركة؟..

فإن حدَّثتكَ نفسك بالتَّواني والانكفاء على أولويات في بلدك، فتذكَّر حديث رسول الله ﷺ، وأن العبرة ليست بالكثرة الكاثرة، فقد وصفهم الحديث بأنهم كالإناء بين الأكلة!! وأنهم منصورون على كل الأحوال، ولن يتضرروا بخذلانك لهم، تذكَّر أنك أنت الخاسر الوحيد، فالأحداث التي تجري في بيت المقدس ليست سوى اختبار لنا جميعاً، إنها سوق نُصب ويوشك أن ينفضّ، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر. ربح فيه كل من فتَّش عمَّن يُمثِّل الطائفة الظاهرة على الحق، التي أخبرنا عنها الصادق المصدوق ﷺ، وانتسب إليها، أو قدَّم لها ما استطاع من دعم، إبراءً للذمّة أمام الله تعالى. وخسر كل من أدار ظهره، ونأى بجانبه عن مساندة أهل فلسطين في جهادهم ومقارعتهم للمحتل، واكتفى بأداء الأركان الخمسة من الإسلام، ولم يحرِّك ساكناً لنصرة الأقصى وأهله.

والأخطر من ذلك أنّ الأمر ليس على التخيير، كما يتبين لنا من الحديث الذي يحوي زجراً شديداً وترهيباً مخيفاً، والذي فيه قول رسول الله ﷺ لبشير بن الخصاصية رضي الله عنه: "**لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة؟!**". وأمةٌ (طويلة عريضة) زاد تعدادها على المليار ونصف المليار، لا تفكِّر بالجهاد لتحرير الأرض المقدَّسة، ولا تقوم بواجبها تجاه المجاهدين هناك، فبم تدخل الجنة؟!

هلَّا وقفت الأمة مع حديث بشير بن الخصاصية، لتراجع نفسها مراجعة جادة، تعيد النظر في كل مواقفها من الأحداث الجارية، ومن حجم الدعم المطلوب منها للطائفة المجاهدة المرابطة في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.. إنه حديث يحاكي أحوال الكثيرين من أبناء الأمة دون أن يستشعروا خطورة ما هم عليه:

قال بشير بن الخصاصية رضي الله عنه: «أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه على الإسلام، فاشترط علي "**تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً عبده ورسوله، وتصلي**

الخمس، وتصوم رمضان، وتؤدي الزكاة، وتحج البيت، وتجاهد في سبيل الله" قال: قلت: يا رسول الله، أما اثنتان فلا أطيقهما، أما الزكاة فمالي إلا عشر ذود، هنَّ رِسل أهلي وحمولتهم وأما الجهاد فيزعمون أنه من ولَّى، فقد باء بغضب من الله، فأخاف إذا حضرني قتال كرهت الموت، وخشعت نفسي، قال: فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها ثم قال: "**لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة؟**" قال: ثم قلت: يا رسول الله، أبايعك فبايعني عليهن كلهن"»[(١)].

إضاءة: يوجه النَّبي ﷺ أصحابه إلى أنّ بيت المقدس وأكنافه محفوظان بجند في السماء هم ملائكة الرحمن الباسطة أجنحتها عليه وجند الأرض من الفئة الظاهرة على الحق التي يتشرف كل مسلم بالانتساب إليها.

ثانياً: مقياس أخلاق الأمة

يبدو حرص النَّبي ﷺ على بيت المقدس وأكنافه من خلال حرصه على أهله وساكنيه، حرصه على رصيدهم الإيماني الأخلاقي الذي يؤهل المسلم للارتقاء في أعلى الدرجات من الجنان.. فهو القائل ﷺ: "**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**"[(٢)]. وهو ما جعله يضع المسؤولية على عاتق أمته كاملة بأن تهتم بأخلاق أهل الشام، محذراً من مغبة فساد أخلاقهم، وأثر ذلك في الأمة وهو ما يظهر في الحديث الآتي:

(١) الراوي: ابن الخصاصية السدوسي، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ٤٧/١، خلاصة الدرجة: اللفظ للطبراني ورجال أحمد موثقون. وهو في المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب الجهاد برقم ٢٢٣٦١، ومسند أحمد: مسند الأنصار برقم ٢١٣٨١.

(٢) الراوي: أبو الدرداء، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٥٧٢٦، خلاصة الدرجة: [صحيح]. وقد أخرجه الترمذي: ١٩٢٦، وأبو داوود: ٤١٦٦.

عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إذا فسد أهل الشَّام فلا خير فيكم، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة**"(١).

إنه ﷺ يوجه حكماً شديداً، لا يمكن لمسلم أن يحتمل عبء الاتصاف به، فهو ينفي الخيرية عن الذين لا يبالون بأهل الشام، والذين لا يهتمون بمدى استقامتهم والتزامهم بأسمى الأخلاق وأرفعها، إنه يوجه أمراً واضحاً بضرورة بذل كل جهد في بث الأخلاق الإسلامية الحميدة في أهل بيت المقدس وأكنافه، وعدم التواني في دعوتهم ورعايتهم، ليكونوا بحق خير من يمثل تلك الأرض المقدَّسة.. فلا يليق بمن يسكن تلك الديار إلا أن يكون صاحب خلقٍ رفيع يجعله كالشامة بين الناس..

وإذا كان كل مسلم معنياً بالتحلي بمكارم الأخلاق، فإن أبناء الأرض المباركة (فلسطين) مطالبون اليوم بأن يكون لهم الباع الأطول في هذا المجال، وأن يتحرك كل واحد منهم على أنه سفير لتلك الأرض المباركة، ولي هنا أن أخاطب كل سفيرٍ لفلسطين بهذه الكلمات التي أبثها له مستشعراً خلالها عظيم المسؤولية التي يضعها على كاهلنا حديث رسول الله ﷺ السابق، والذي يحتم علينا إسداء النصح إلى أهل الشَّام خاصة، وإلى أهل بيت المقدس على وجه أخص وأخص.. فيا أيها السفير!!

هل شرطٌ أن تكون معيّناً رسمياً لتكون سفيراً للقدس وفلسطين؟؟

---

(١) الراوي: قرة بن إياس المزني، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ٤٠٣، خلاصة الدرجة: [صحيح على شرط الشيخين]. وقد أخرجه الطيالسي: برقم ١٠٧٦، وأحمد في المسند: ٣/ ٤٣٦، ٥/ ٣٤، ٣٥، وفي فضائل الصحابة: ١٧٢٢، والترمذي: برقم ٢١٩٢، وابن ماجه: رقم ٦، واقتصر على الجزء الثاني، والطبراني في الكبير: ٢٠/ ٢٧، وأخرج الطرف الأول منه ابن حبان كما في الإحسان: ٧٢٥٨، موارد: ٢٣١٣، وأبو نعيم في الحلية: ٧/ ٢٣٠، والطبراني: ٢٠/ ٢٧، والفسوي في تاريخه: ٢/ ٢٩٥، والخطيب في تاريخه: ٨/ ٤١٧، ٤١٨، ١٠/ ١٨٢، وابن أبي شيبة: ١٢/ ١٩٠، رقم ١٢٥٠٦.

وهل من الضروري أن تنصَّب سفيراً لبلادك في أجواء احتفالية وطقوس بروتوكولية معقدة؟!

إن مجرد تعريفك بنفسك أنك من بيت المقدس وأكنافه المباركة، يجعلك تحمل ذلك اللقب رغماً عنك، شئت أم أبيت.. وهو ما يجعلك تتميز من غيرك من البشر، فما أحلى وأجمل وأروع أن ترتبط بأجمل البلدان وأغلاها وأقدسها وأطهرها، وأن تحمل اسم تلك البقعة الطاهرة المباركة، فتعرف بين الأنام بأنك ابن لبيت المقدس..

أنت إذن قدسٌ تتحرك، وجنين تتكلم، و نابلس تتنهد، وغزة تتألم، وحيفا تتأوه.. أنت فلسطين، وفلسطين أنت..

فيا سفيراً لأرضٍ يدنسها الخبثاء، وينتهك مقدساتها الدّخلاء، ويتاجر بها العملاء، ويتقاعس عن نصرتها الجبناء..

يا سفيراً لشعب تسفك دماؤه، وتهدم بيوته، وتقتلع أشجاره، وتنهب خيراته، وتسرق ثرواته، ويهان ويذل في المعتقلات وعلى نقاط العبور..

يا سفيراً لأرض باركها الله وقدّسها في كتبه، وعلى لسان نبيه، وجعلها القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، وأرض المسجد الأقصى.. وديار النبيين، ومركز الصالحين، ورباط المجاهدين، ومهوى قلوب المؤمنين..

يا سفيراً لبيت المقدس.. هل أديت أمانتك تجاه قضيتك؟ وهل تفخر بيت المقدس أنك ابن بار بها؟؟

يا سفيراً لها.. جديرٌ بك أن تكون جاداً إذ الناس يهزلون، عاملاً إذ الناس يلهون، متفوقاً إذ الآخرون يتعثّرون، مستيقظاً والناس نائمون، باكياً إذ الناس يضحكون..

يا سفيراً لبيت المقدس.. كن قناة فضائية، تبث أخبار فلسطين النازفة أولاً بأول..

obeikandl.com

كن موقعاً إخبارياً، ينقل ما يسطّره الأبطال المرابطون في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ساعة بساعة..

كن كذلك بتكبيراتك لسقوط جندي حقير من اليهود الملاعين برصاص المجاهدين..

كن كذلك بتهليلك لسماع عملية جهادية، أو تدمير دبّابة صهيونية..

كن كذلك بدمعة تذرفها أو آهة ترسلها أو صرخة مكتومة تعلنها..

كن كذلك بركعات تلتزم بها ودعوات تتضرع بها، وصيام وقيام، واقتصاد في الطعام وقلة في الكلام وحسن معاشرة للأنام..

يا ابن بيت المقدس.. كن خير سفير لها.

ويا علماء الأمة ووعاظها، مزيداً من الاهتمام بأهلنا في الشام، نصحاً وتربية وتعليماً وإرشاداً، واذكروا وذكّروا الآخرين أمرَ نبيكم ﷺ: "**إذا فسد أهل الشَّام فلا خير فيكم، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة**" ذلك أنّ الحديث يعطي ضمانة أكيدة، بأن وجود الطائفة المنصورة في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس صمام أمان لأخلاق أهلها، فوجود تلك الطائفة يعزز الأخلاق في تلك المنطقة، وما على أبناء هذه الأمة إن أرادوا أن يعززوا مكانة الخلق الإسلامي في أرضنا المباركة، إلا أن يدعموا تلك الطائفة المنصورة بكل الوسائل والسبل، لأن في ذلك دعماً للأخلاق هناك.كما أنّ العكس صحيح؛ فكل جهد يتم بذله لتعزيز الأخلاق السامية في بيت المقدس وأكنافه، من شأنه أن يعزز الطائفة المنصورة هناك، فأصحابها لا يمكن أن يكونوا إلا صفوة من البشر، يتمتعون بأرفع الأخلاق وأسماها.

إنها وصفة لا تخطئ أبداً من نبينا ﷺ لدعم صمود الطائفة الظاهرة على الحق في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وهي بذلك تقطع الطريق على كل من يشتكي ضعف الإمكانات، أو قلة الحيلة في المساهمة الفاعلة في دعم شعب

فلسطين، صموداً ورباطاً وجهاداً وحراسة للمسجد الأقصى المبارك والذود عنه. وهو، إضافة إلى هذه الوصفة الأكيدة، يعززها بمعلومة هامة جداً تتعلق بهذه الطائفة المنصورة أعرضها في النقطة القادمة.

إضاءة: شدد النَّبي ﷺ على ضرورة اهتمام الأمة جمعاء بأهل بيت المقدس وأكنافه وتحملها مسؤولية الحفاظ على أخلاقهم؛ لأن منهم الطائفة الظاهرة على الحق التي تكفلت بحماية تلك الأرض على مدى الزمان.

ثالثاً: سوط الله في الأرض

ذكرنا فيما سبق من النقاط أنّ النَّبي ﷺ امتدح طائفة من أهل الشَّام بأنهم قائمون على دين الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من ناوأهم، وأنهم مقياس لأخلاق الأمة، وأنهم خيرة الله من خلقه، يجتبيهم إلى خيرته من أرضه، وغير ذلك من الأوصاف المميزة.. وإضافة إلى كل ذلك فإنه ﷺ يضمن لهم صفتين بارزتين تظهران في حديث خريم بن فاتك الأسدي صاحب رسول الله ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "**أهل الشَّام سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرامٌ على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولا يموتوا إلا همّاً وغمّاً**"(١).

فهم سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده الذين يعصون أوامره..

---

(١) الراوي: خريم بن فاتك الأسدي، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ١٠/ ٦٣، خلاصة الدرجة: رجاله ثقات. وقد أخرجه الطبراني في الكبير: ٤/ ٢٤٩، رقم ٤١٦٣، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: برقم ١٠٤٩، مرفوعاً، وقد علل الحديث المرفوع الشيخ الألباني بعنعنة الوليد بن مسلم فلم يصب، فقد صرح الوليد بالتحديث في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٢): إلا أنه رواه موقوفاً. وقد أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٤٩٩، والفسوي في المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٠٢، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: برقم ١٠٤٨، عن خريم ابن فاتك موقوفاً بإسناد صحيح. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٠): رواه الطبراني وأحمد موقوفاً على خريم ورجالهما ثقات، وكذا قال المنذري في الترغيب والترهيب: ٤/ ٦٣.

وأي فخر وأي رفعة أن ينسب المسلم إلى خالقه، وأن يكون قدر الله الساري في الأرض..

إنه وصف يذكرنا بأوصاف أطلقها رسول الله ﷺ على صفوة الصفوة من أصحابه، كأسد الله وأسد رسوله سيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وسيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، والكرّار علي بن أبي طالب، وهاهو يصف أهل بيت المقدس بأنهم سوط الله في أرضه.. ولا غرابة، فقد رأينا فعلهم بأعداء الله من التتار والصليبيين وما يفعلونه الآن في بني صهيون..

أما الأمر الآخر الذي أشار إليه حديث رسول الله ﷺ، فإنه وإن بدا للبعض أنّ تجمُّع النفاق والمنافقين في بيت المقدس وأكناف المقدس قد استعلى على المؤمنين وغلبهم، فإن ذلك أمرٌ مؤقت لا يمكن أن يدوم، ولا يجوز أن يدوم، بقوله: "**وحرامٌ على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولا يموتوا إلا همّاً وغمّاً**". وهو إخبار بأن مصيرهم المحتوم هو الموت من القهر والغم برؤيتهم راية التوحيد تعلو خفاقة في ربوع بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وارتفاع شأن الإسلام على يد المؤمنين الصادقين في تلك الربوع المباركة. وذلك الأمر نعيشه اليوم ونعاينه بكل وضوح، فمع كل المكائد والمؤامرات وتكتل الباطل بما يملكه من إمكانات هائلة، ووقوف معظم دول العالم خلف الفئة المتقاعسة المناهضة لنهج الجهاد والمقاومة، التي آمنت أن الحياة مجرد مفاوضات (عبثية) مع المحتل، وارتهان للإملاءات الأمريكية والصهيونية، والعمل كمخلب لها، إلا أنّ كل ذلك كان يتحول، بتقدير الله تعالى، إلى هباء وإخفاق ذريعين، لا يملكون حيالهما إلا أن يعضوا عليهما أناملهم من الغيظ، وينجلي غبار حقدهم ومكرهم بموتهم همّاً وغمّاً وكمداً، في الوقت ذاته الذي يحفظ الله الفئة الصابرة الظاهرة على الحق ويزيدها ثباتاً ورسوخاً، إلى أن يأتي أمر الله ويفرح المؤمنون بنصره الموعود.

إضاءة: وصفه ﷺ لأهل بيت المقدس وأكنافه بأنهم سوط الله في أرضه يقلدهم وساماً رفيعاً يدل على مكانتهم في نفسه الشريفة؛ لمكانتهم عند الله كونهم جنده وقدره النافذ في الأرض.

رابعاً: عقر دار المؤمنين

كان من هدي النَّبي ﷺ حض المؤمنين وتحريضهم الدائم على القتال، وذلك بمباشرة ذلك بنفسه ﷺ، وتقدمه الصفوف، حتى إنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، صاحب البأس الشديد، يصف نبي الملحمة بقوله: «كنَّا إذا حمي الوطيس واحمرَّت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ».

إنه نبي الملحمة القائل: "**والذي نفسي بيده لولا أنّ رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله. والذي نفسي بيده، لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل**"(١).

والقائل لمعاذ: "**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟**"، قلت: بلى يا رسول الله! قال: "**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**"(٢).

ها هو يدلهم على أرض لا تهدأ أبداً، ولا تقفل أبوابها في وجه الراغبين في أجر الجهاد والاستشهاد وأجر الرباط في سبيل الله.

إنها الأرض المقدَّسة التي عدَّها رسول الله ﷺ عقر دار الإسلام والمؤمنين، كما جاء في الحديث عن سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه قال: «كنتُ جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رَجُل: يا رسولَ الله، أَذال الناسُ الخْيلَ، ووضَعوا السلاح، وقالوا: لا جهادَ، قد وضَعَتِ الحربُ أوْزارَها.

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٧٠٧٥، خلاصة الدرجة: [صحيح]. أخرجه البخاري في صحيحه، الصفحة أو الرقم: ٧٢٢٦. والنسائي في صحيحه: الصفحة أو الرقم ٣٠٩٨. وابن عبد البر في التمهيد: الصفحة أو الرقم: ٢٤/ ٩٢.

(٢) الراوي: معاذ بن جبل، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: ٢٨٦٦، خلاصة الدرجة: [صحيح لغيره]. وقد صححه الألباني في صحيح ابن ماجه، الصفحة أو الرقم: ٣٢٢٤. وصحيح الترمذي: الصفحة أو الرقم: ٢٦١٦.

فأَقْبلَ رسولُ الله ﷺ بوجهه، وقال: "**كذَبوا الآن، الآنَ جاءَ القتالُ، ولا يزالُ من أُمَّتي أُمَّةٌ يقاتلون على الحق، ويُزيغُ الله لهم قلوب أقوام ويرزُقُهم منه، حتى تقوم السَّاعةُ، وحتى يأْتِيَ وعدُ الله، والخْيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، وهو يُوحى إليَ: أني مقبوضٌ غيرُ مُلَبَّث، وأَنتم تتَّبِعوني أفناداً، يضرب بعضُكم رِقَابَ بعضٍ، وعُقْرُ دارِ المؤمنين الشامُ**"»[(١)].

وقد فسر الإمام السيوطي الحديث بقوله: «وعقر دار المؤمنين الشام، قال في النهاية: عُقْر: بضم العين وبفتحها، أي أصلها وموضعها، كأنه أشار به إلى أنه عند وقت الفتن يكون الشَّام آمناً منها، وأهل الإسلام به أسلم»[(٢)].

«هذه الأرض؛ فلسطين وما حولها، هي أرض جهاد حي مستمر على اختلاف الأزمان والقرون. وهذه الأرض؛ فلسطين وما حولها، هي أرض حية ساخنة، لأنها أرض التحدي القوي الحاد بين المسلمين وأعدائهم، وهي ميدان الصراع والعراك والحرب معهم، كما أنها هي أرض الحسم، حسم المعركة بين الحق والباطل، وبين المسلمين وأعدائهم، فعلى ثراها الطهور ترتفع أعلام النصر والتحرير. ولهذا جعلها الله أرض الرباط والجهاد والتحدي والحسم، ولهذا فضلها الله على سائر البقاع والبلدان»[(٣)].

وإذا كان رسول الله ﷺ يصف الشَّام، وسرتها بيت المقدس، بأنها عقر دار المؤمنين، فإن التأدُّب مع رسولنا الكريم ﷺ يستوجب العناية والاهتمام بتلك البقعة من كل مسلم موحِّد، فيعمل بكل قوته على رفع الضيم والقهر عن أهل الشام، دون النظر إلى ما استُحدث من تقسيماتٍ إقليميةٍ ضيقة تصنف أهل الشَّام تحت مسمى (الجنسية)، فتجعلهم فلسطينيين وأردنيين وسوريين ولبنانيين، وهو

---

(١) الراوي: سلمة بن نفيل الكندي، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الصفحة أو الرقم: ٣٥٦٣، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٢) شرح السيوطي على النسائي: ٦/ ٢١٥.

(٣) من مقال للدكتور صلاح الخالدي بعنوان: فلسطين أرض الرباط والجهاد والحسم، مجلة فلسطين المسلمة، شهر آب/ أغسطس ١٩٩٣م.

ما يفرض على الأمة نبذ القوانين التي تفرِّق بين أبنائها في المعاملة، وتلك التي تضيق عليهم سبل العيش والتنقل وفرص العمل، ولا تساوي بينهم في الحقوق والواجبات.

على الأمة ان تقف مليّاً مع قول العلامة أبي الحسن الندوي -رحمه الله- في محاضرة له بعد سقوط المسجد الأقصى المبارك والقدس بأيدي اليهود الغاصبين: «لقد آن الأوان لتجميع الأمة من شرق العالم وغربه، من شمال العالم إلى جنوبه، بغض النظر عن الجنسيات واللغات والثقافات، على الحميَّة الدينية لنصرة المسجد الأقصى الأسير».

على كل حاكم وأمير ورئيس وملك حريص على اتباع النَّبي ﷺ أن يتخذ من هذا الحديث نبراساً له وموجهاً لسياساته، خاصة مع تكالب الشرق والغرب من خلال قرارات دولية جائرة غير منصفة، تشرّع لاغتصاب حق الأمة الراسخ في تلك الأرض المباركة، وتصادره لمصلحة أشد الناس عداوة للمؤمنين. عليهم أن يبذلوا كل الأسباب الأرضية ثم يستسلموا لمسبب الأسباب، كما فعل صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- الذي طالما تذلل لربه بقوله: «إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل».

عليهم أن يسنّوا القوانين، ويصدروا التشريعات التي تنصف أهل الشام، ولا تنقص من قدرهم، بل وتعطيهم ميزة على غيرهم بأنهم أهل رباط وجهاد في ثغر من أهم الثغور، إكراماً لعقر دار المؤمنين.. الشام.

إن هذا الحديث يسوقنا إلى أحاديث أخرى تبهر السامعين، وتعزز بشكل لا يحتمل التأويل ما ذهبنا إليه، من أن للنبي ﷺ نهجاً واضحاً وهدياً ثابتاً في غرس حبّ الأرض المقدَّسة، والتعلق بالمسجد الأقصى وأكنافه، والتماس الأجر والثواب في القرب منه، وبذل الغالي والنفيس ليبقى طاهراً من دنس الشرك والمشركين، صليبيين كانوا أو مغولاً أو يهوداً معتدين..

إضاءة: وصف النَّبي ﷺ أرض بيت المقدس وأكنافه بعقر دار المؤمنين فيه تهييج لكل مؤمن أن يلتحق بداره ويسارع إلى بذل الغالي والنفيس لتطهيرها كونها عقر الدار.

خامساً: وصفه ﷺ أهلها بأنهم في رباط وجهاد

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "**أهل الشَّام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون، فمن نزل مدينة من الشام، فهو في رباط أو ثغر من الثغور فهو مجاهد**"(١).

حديث شامل عجيب، جاء متسقاً مع الهدي النبوي الراسخ في الترغيب في سكنى الشام، إنه لا يريد من أصحابه أن يمروا مرور الكرام بالشام، فكما نصح صاحبه (ذي الأصابع) في الحديث الذي مرَّ بنا سابقاً: "**عليك ببيت المقدس، فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذاك المسجد ويروحون**"(٢)، فإنه في هذا الحديث ينصح أصحابه أن يستقروا هم وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم في بيت المقدس وأكنافه، ورغَّبهم في ذلك باعتبارهم في رباط وجهاد دائمين. وهو مدح وثناء ذو مغزى كبير جداً، يمكن أن نفهمه بشكل أدق وأعمق عندما نستعرض أجر الرباط من خلال أحاديث رسول الله ﷺ لنعلم ما الذي كان يقصده ويعنيه بذلك الحديث..

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**رباط يوم في**

---

(١) الراوي: أبو الدرداء، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: ١٠/ ٦٣، خلاصة الدرجة: [فيه] أرطاة بن المنذر عمن حدثه عن أبي الدرداء ولم يسمه وبقية رجاله ثقات. وخرجه الألباني في: ضعيف الترغيب، الصفحة أو الرقم: ١٨٠٩بدرجة: ضعيف.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: مسند المدنيين حديث رقم: ١٦٣١٣، والمعجم الكبير للطبراني: رقم ٤١١٥، والطبقات الكبرى لابن سعد: برقم ٩٢٦٥، والهيثمي.

سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل"[١].

وفي الحديث: **"من رابط ليلة في سبيل الله، كانت كألف ليلة صيامها وقيامها"**[٢]. وحديث **"رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة، خير من الدنيا وما عليها"**[٣].

إنه أجر عظيم لا يحوزه إلا الأصفياء الذين اختارهم الله على عينه، أجر تهون معه كل مشقة وتسهل معه كل تضحية، ويَعْذُبُ معه كل مُرّ، وهو ما يحكيه المرابطون في المسجد الأقصى المبارك عندما يتشبثون به بأضراسهم ونواجذهم، يداوون بدمائهم الزكية نزف جراحه، وينصبون صدورهم العارية تروساً تردّ عنه سهام الحقد اليهودي كلما زاد منسوب تهديدهم إياه.

ولعل مما يثلج صدور المؤمنين ويجدد الآمال في هذه الأمة تلك القصص العجيبة للمرابطين في غزة العزة، الذين استعذبوا العذاب في سبيل الدفاع عن تلك الأكناف المباركة، وقدَّموا بأجسادهم وأرواحهم مثالاً حياً لروح الفداء والبطولة التي تبثها أحاديث نبينا ﷺ، خاصة عندما تسمعهم يرددون الأحاديث التي أوردتها في فضل الرباط، ومعها حديث **"رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر، وغدي عليه برزقه، وريح من الجنة، ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله"**[٤].

---

(١) الراوي: عثمان بن عفان، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الصفحة أو الرقم: **٣١٦٩**، خلاصة الدرجة: حسن. وفي صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: **١٦٦٧**.

(٢) الراوي: عثمان بن عفان، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم: **١٢٢٤**، خلاصة الدرجة: حسن لغيره. وقد أخرجه ابن ماجه، وصححه السيوطي في الجامع الصغير.

(٣) الراوي: سهل بن سعد الساعدي، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: **٢٨٩٢**، خلاصة الدرجة: [صحيح].

(٤) الراوي: أبو الدرداء، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: **٣٤٧٩**، خلاصة الدرجة: صحيح.

كل ذلك يظهر مدى فضل الرباط في سبيل الله، وهو الذي يكتب لساكني بيت المقدس وأكنافه المباركة.. والواقع يشهد بأن مجرد بقاء أهل فلسطين على أرضهم وديارهم يمثل ضربة كبيرة للمشروع الصهيوني البغيض، فتثبيت الوجود اليهودي في القدس يصطدم بما يسمونه بالواقع الديمغرافي المختل لمصلحة العرب والمسلمين، فأعدادهم في ازدياد مطرد بسبب ارتفاع نسبة الإنجاب لديهم مقارنة باليهود، وبسبب تمسكهم بالبقاء على أرضهم مع كل محاولات طردهم بكل الوسائل الإجرامية.. الأمر الذي جعل كبار المفكرين والمحللين السياسيين يجزمون بأن اليهود لن يحتفلوا بمئوية إقامة كيانهم الغاصب على أرض فلسطين بسبب (القنبلة الديمغرافية)، والتي اعتبروها من المهددات الاستراتيجية للوجود اليهودي..

تلك القنبلة التي حافظت على مدى الزمان على هوية فلسطين العربية والإسلامية زمن الحروب الصليبية، وما تلاها من غزوٍ للتتار، إلى أيامنا الحالية، وهو ما يعطي ألقاً خاصاً لحديث نبينا ﷺ الداعي إلى التشبث بالبقاء على تلك الأرض المباركة مهما كانت الظروف.

وبالعودة إلى سيرة الصحابة الأجِلَّاء رضوان الله تعالى عنهم، يتبين لنا مدى حرصهم على اتباع هدي نبيهم ﷺ، وكيف حازوا بركة ذلك الاتباع انتصاراتٍ وفتوحاتٍ عزَّ مثلها في التاريخ، ولنا هنا أن نربط بين حديث أبي الدرداء الذي افتتحتُ به هذه النقطة مع مشهد رائع يجسد بكل روعة تطبيق الصحابة والتابعين لمضمون ذلك الحديث..

إنه مشهد قدوم جماعة من اليمن من قبيلة خثعم، دون الألف وفوق التسع مئة، للمشاركة في فتوح الشام، وعليهم ابن ذي السهم الخثعمي، إذ قال لأبي بكر -خليفة المسلمين- رضي الله عنه: «إنّا قد تركنا الديار والأموال والأصول، وأقبلنا بنسائنا وأبنائنا، أنخلفهم عندك ونمضي، فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهم فأقدمتهم علينا، أم ترى لنا أن نخرجهم معنا ونتوكل على ربنا؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: سبحان الله، يا معشر المسلمين هل سمعتم ممن سار من المسلمين إلى أرض

الروم وأرض الشام، ذكر عن الأولاد والنساء مثل ذكر أخي خثعم؟ أما إني أقسم لك يا أخا خثعم إني لو سمعت هذا القول منك والناس مجتمعون عندي قبل أن يشخصوا لأحببت احتباس عيالاتهم عندي، وأسرحهم وليس معهم من النساء والأولاد ما يشغلهم ويهمهم حتى يفتح الله عليهم، ولكنه قد مضى عظم الناس وذراريهم ولك بجماعة المسلمين أسوة، وأنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام وأهله، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن في الشَّام أمراء وجهناهم إليها، فأيهم أحببت أن تصحب فاصحب». فسار ابن ذي السهم بمن معه حتى لحق بيزيد بن أبى سفيان فانضم إلى جيشه.

وكان نتيجة اصطحاب أهل اليمن لأولادهم ونسائهم، أن أوقع ذلك الرعب في نفوس الروم، فقد قالوا لهرقل ملك الروم: «قد أتتك العرب وجمعت لك جموعاً عظيمة وهم يزعمون أنّ نبيهم الذي بُعِث إليهم قد أخبرهم أنهم يظهرون على أهل هذه البلاد، وقد جاؤوك، وهم لا يشكون أنّ هذا سيكون، وجاؤوك مع ذلك بنسائهم وأولادهم تصديقاً لمقالة نبيهم، يقولون: لو دخلناها فتحناها ونزلنا بنسائنا وأولادنا، قال هرقل: فذلك أشد لشوكتهم!! إذا قاتل القوم عن تصديق ويقين، فأشد على من يكابدهم أن يزيلهم عن رأيهم أو يصدهم عن أمرهم».

والتاريخ يشهد أيضاً أنّ الكثير من أهل الشَّام عامة وفلسطين خاصة تعود جذورهم وأصولهم إلى تلك القبائل اليمنية التي شاركت في فتح الشام، فكان بقاؤهم خيراً وبركة وتثبيتاً للهوية العربية الإسلامية لتلك الأرض المباركة عبر القرون[1].

إضاءة: كل من يسكن في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس يحظى بأجر الرباط في سبيل الله كما وصف النَّبي ﷺ.

(١) انظر بتوسع كتاب: فلسطين واليمن.. علاقة ممتدة عبر الزمن: مخلص برزق.

سادساً: كثرة شهدائها

كان هدي النَّبي ﷺ في غرس حبّ المسجد الأقصى المبارك واضحاً تمام الوضوح في ذكر كل التبعات المترتبة على كل من يرغب في الاستئثار بالأوسمة التي حوتها أحاديث رسول الله ﷺ، فالأمر ليس معلقاً بالأماني والتمني، ولكنه شرفٌ عظيم لا يحوزه إلا من نذر نفسه لله تعالى، وهيَّأها لدفع الغالي والنفيس للحصول على موعود رسول الله ﷺ.

كان من هديه ﷺ تبيان أقصى ما يمكن أن يترتب على مجاورة المسجد الأقصى المبارك وما حوله، ألا وهو نيل الشهادة في سبيل الله، ولعلّي لا أبالغ إن قلت إن إشارة النَّبي ﷺ إلى أن الشهادة تتربص بكل من يقصد تلك الأرض المقدَّسة، لم تكن من باب الترهيب والتخويف لأصحابه وأحبابه، ولكنها كانت من باب الترغيب أكثر منها ترهيباً وتحذيراً، وهو ما يتضح في حديث أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأمسكت الحمى بالمدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، والطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجساً على الكافرين**"[(١)].

فقد وصف النَّبي ﷺ تلك الشهادة بأنها "**رحمة لهم ورجساً على الكافرين**". ويصفه في حديث معاذ بن جبل الآتي بأنه "**يستشهد به أنفسهم ويزكي بها أعمالهم**"، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**ستهاجرون إلى الشام، فيفتح لكم، ويكون فيكم داء كالدمل، أو**

(١) الراوي: أبو عسيب مولى رسول الله، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ٧٦١، خلاصة الدرجة: إسناده صحيح. وقد أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٨١، وابن سعد في الطبقات: ٧/ ٦١، والطبراني في الكبير: ٢٢/ ٣٩١ رقم ٩٧٤، وابن حبان في الثقات: ٥/ ٣٩٩، وأبونعيم في معرفة الصحابة: ٢/ ٣٩٣ رقم ١٠١٦، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣١٠): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد ثقات.

كالحزة[١]، يأخذ بمراق[٢] الرجل يستشهد الله به أنفسهم، ويزكي بها أعمالهم"[٣].

إنه معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال إنه سمع ذلك من حبيبه المصطفى ﷺ، فما زاده ذلك إلا رغبة في الحصول على تلك المكانة الرفيعة.. وقد كان له ذلك بعدما أصابه طاعون عمواس (وهي ضيعة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس) عقب إصابة أبي عبيدة بن الجراح حيث استخلفه من بعده، فقال له الناس: «ادع الله يرفع عنا هذا الرِّجز، فقال: إنه ليس برِجز، ولكنه دعوة نبيكم ﷺ، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يختص بها الله من يشاء منكم.. ثم ختم بقوله: اللهم آتِ آلَ معاذ نصيبهم من هذه الرحمة، فطُعن ابناه، فقال: كيف تجدانكما؟ قالا: يا أبانا: الحقُّ من ربك فلا تكوننّ من الممترين. قال: وأنا، ستجداني إن شاء الله من الصابرين، ثم طُعنت امرأتاه فهلكتا، وطعن هو في إبهامه فجعل يمسها بفيه ويقول: اللهم إنها صغيرة فبارك فيها، فإنك تبارك في الصغير»[٤]، حتى لقي الله شهيداً سنة ثماني عشرة للهجرة (٦٣٩م) وهو ابن ثمان وثلاثين ودفن في غور الأردن رحمه الله..

---

(١) الحزة: هي القطعة من اللحم وغيره، النهاية: ١/ ٣٧٧.

(٢) مراق: ما سفل من البطن فما تحته من المواضع التي نزق جلودها. النهاية: ٢/ ٢٥٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٢٤١، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣١١): رواه أحمد وإسماعيل بن عبيد الله لم يدرك معاذاً، قلت: لكن إسماعيل قد توبع، فقد تابعه كثير بن مرة الحضرمي، وأخرجه الطبراني في الكبير: ٢٠/ ١١٤، حديث ٢٢٥، وفي مسند الشاميين: برقم ٣٥٢٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ١/ ٣٨٢، ٥٥٨، ٥٥٨-٥٥٩، وابن عدي في الكامل: ٢/ ٧٣٧ في ترجمة الحسن بن يحيى الخشني، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣١٤): وفيه الحسن بن يحيى الخشني وثقه دحيم وغيره، وضعفه النسائي وغيره، قلت: رجال إسناد الطبراني بين ثقة وصدوق، والحسن بن يحيى الخشني ضعفه الدارقطني والنسائي ووثقه دحيم وابن معين وابن عدي وقواه أبو حاتم، وقال ابن حجر: صدوق كثير الخطأ، انظر ميزان الاعتدال: ١/ ٥٢٥، وتهذيب الكمال: ٦/ ٣٣٩، وتقريب التهذيب: ١/ ١٧٢، فالحديث حسن بهذه المتابعة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٢٤٠، والطبراني في الكبير: ٢٠/ ١٢١ رقم ٢٤٣، وقال الهيثمي في المجمع: ٢/ ٣١١، ورجال أحمد ثقات وسنده متصل.

ذلك الفضل الكبير لا يقف عند زمن معين، فهو ممتد إلى آخر الزمان، فعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: "**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث، لا يفتنون أبداً..**"(١).

أخبر النَّبي ﷺ أنّ أفضل الشهداء عند الله تعالى هم شهداء أهل الشام، الذين يستشهدون في المعركة العظمى التي تقع آخر الزمان على أرض الشَّام مع قوى البغي العالمي المتربصة بالإسلام والمسلمين، وهو فضل عظيم لا يدانى، واصطفاء رباني لا يحوزه إلا الأصفياء الأتقياء..

ومع ارتقاء العشرات والمئات والآلاف من الشهداء على أرض فلسطين، والذين كان آخرهم أولئك الذين اختلطت أشلاؤهم بأشلاء مساجدهم ومدارسهم في غزة، وسالت دماؤهم غزيرة، متفوقة على ما سال من المآقي من دموع المشاهدين والمتفرجين عليهم من إخوانهم في الأمة.. ومع عودة الأفواه المثبطة التي اعتبرت أنّ القتل فينا خسارة فادحة!! وأنَّ المقاومة والصمود جلبا على شعبنا وأمتنا المصائب!! كان لابد من استحضار أحاديث نبينا ﷺ عن فضل الشهادة والاستشهاد، جنباً إلى جنب مع الآيات التي تنهانا أن نصف أولئك الشهداء بالموتى، أو أن نحسب أن قتلهم خسارة، وإلا.. فهل كان ارتقاء حمزة ومصعب وابن النضر وعاصم وخبيب ومَن قبلهم ومَن بعدهم مصيبة وكارثة وبلاء؟! أم أنه كان سنة إلهية لم تكن لتتخلف أبداً كي يتنزل نصر الله وتمكينه ثمناً لتلك التضحيات الجسام؟

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٧٤٣٣، خلاصة الدرجة: صحيح. وقد أخرجه مسلم: برقم ٢٨٩٧، وابن حبان كما في الإحسان: ٦٧٧٤.

ولذلك فلا غرابة أبداً أن نسمع عن أولئك الذين فهموا ووعوا تلك السنن على أرضنا المباركة قصصاً تستنسخ إقدام الأولين، وتجدِّد بطولات السابقين، فقد علموا أنهم إنما يُعَبِّدون بجهادهم ورباطهم الطريق إلى بيت المقدس.

أنهم يشقون الطريق إلى بيت المقدس ويُمهدونه لجموع المسلمين من بعدهم كي يلحقوا بهم. طريق يعبده شعبنا الفلسطيني الصابر المصابر بجثث شهدائه، وجراح أبنائه المعذبين والمعتقلين، ودموع أمهاتهم، ولوعة زوجاتهم، وآهات أطفالهم، وتوجّع المرضى المحاصرين، وأنين المبعدين منهم.

علموا بأن الطريق إلى بيت المقدس مليء بالأشواك والدماء والأشلاء.

علموا بأن الطريق إلى بيت المقدس طريق طويل، لا يسلكه إلا "التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله".

الطريق إلى بيت المقدس لا يسلكه إلا من وضع روحه على كفه وباع لله نفسه.

الطريق إلى بيت المقدس لا يسلكه إلا أولياء الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

الطريق إلى بيت المقدس لا يسلكه إلا الغرباء الذين يحيون فرائض هذا الدين وسننه إذا أماتها الناس.

الطريق إلى بيت المقدس لا يسلكه إلا الذين لا يهنون ولا يذلّون ولا يدعون إلى السّلم مع اليهود وهم الأعلون.

الطريق إلى بيت المقدس، هو طريق الأنبياء والأصفياء الأتقياء، إنه أقصر الطرق إلى السماء، بالعروج مع أرواح الشهداء..

ليس ذلك مجرد أقوال، ولكنه واقع نحياه ونعيشه ونلمسه، فهؤلاء أمهات الشهداء وزوجاتهم وأخواتهم في بيت المقدس وأكنافه المباركة، يصِفن شيئاً من

تلك الملحمة التي يخوضها أهل الديار المقدسة في سبيل الحفاظ على هوية مسجدنا الأقصى المبارك وردّ الخطر اليهودي عنه..

ولي أن أورد هنا بكل فخر واعتزاز بعض أقوالهن، وكيف ساهم المسجد الأقصى المبارك في التخفيف عن ألم فقد فلذات الأكباد، كيف تحولّت الأتراح أفراحاً، والآلام آمالاً، والشهادة على أعتابه أجمل الأعراس، فحريّ بأي حدث جلل إن ربط بالمسجد الأقصى المبارك أن ينزل برداً وسلاماً على صاحبه..

وقد دوَّنت هذه الأقوال والقصص العجيبة التي رافقت انطلاق الانتفاضة المباركة التي سميت بانتفاضة الأقصى؛ لأنها اجتاحت الأرض المقدَّسة غضباً واحتجاجاً على قيام المجرم شارون بتدنيس المسجد الأقصى المبارك عام ٢٠٠٠م. حفظت بجعبتي أقوالاً تسجل بماء الذهب للصابرات المحتسبات، أضع هنا نموذجاً بسيطاً لعينة محدودة منهن:

فهذه أم الشهيد محمّد الدرة الذي هزَّت مشاهد موته العالم بأسره تقول:

«الأم حنونة على أبنائها وأطفالها، ويصعب أن تدفع بهم إلى الموت وهي تراه بأم عينها، حيث يتساقط الشباب والأطفال كل ساعة، ولكن إذا ما كتب علينا هذا القدر فمرحباً به، وليس محمّد بأفضل من آلاف الشهداء الذين قدموا أرواحهم فداء للأقصى.. إنني أشعر كل صباح بالسعادة والطمأنينة، ونساء الحي يقمن بزيارتي ومؤازرتي وهن يخاطبنني: يا أم الشهيد..، كان محمّد حنوناً ودوداً وحلو المعشر، لقد ودَّعته طفلاً واستقبلته شهيداً، نعم لقد ودَّعته وقلت له: نم قرير العين يا محمّد.. لن يصل اليهود إلى الأقصى مهما كان الثمن..».

وهذا عبد العزيز ثنيان يصوِّر في مجلة المعرفة مشهداً مماثلاً قائلاً: «لن أنسى مشهد تلك الأم (أم مهند) والدمع يتقاطر من عينيها، وهي تتحدث في مقابلة تلفزيونية، وتصف مشاعرها، وقد فقدت وليدها ابن الخمسة عشر ربيعاً، وتقول: موعدنا الجنة يا ولدي. ويسألها المذيع: وهل ستمنع أولادها الآخرين

من قذف الحجارة؟ فترد بكبرياء وعزيمة: كلا، ولئن سبق مهند إخوته فسأقدم الآخرين فداء للقدس ودفاعاً عن مسرى رسول الله ﷺ»[١].

أمَّا أم الشهيد عرفات الأطرش فتقول بحرقة ظاهرة:

«إن فلسطين غالية علينا، وإن مقدساتنا عزيزة على قلوبنا، ولهذا نقدم لها مهجة أرواحنا وقلوبنا.. أغلى ما نملك.. وينبغي أن يعلم اليهود أننا لن ننسى دماء شهدائنا وأبنائنا.. ليس سهلاً أن يقدم الإنسان فلذة كبده للموت فهذا شيء صعب.. ولكننا في فلسطين ونحن نقاوم الاحتلال الغاصب نشعر أننا ندفع بأبنائنا إلى الجهاد والاستشهاد من حيث لا ندري، لأن ساعة النزال تتطلب ذلك..كنت أدرك أنه سيأتي خبر مفاجئ يقول لي: عرفات استشهد، وهذا لم يكن مستغرباً، فقد كان مجاهداً بطلاً شارك في المواجهات ضد الاحتلال، لهذا عندما سمعت الخبر تمالكت نفسي وقلت: الحمد لله (تبكي) الحمد لله الذي أنال عرفات الشهادة، فهنيئاً له عند ربه في جنات النعيم».

وهذه أم الشهيد عرفات محمّد عبد الجواد الأطرش أبو اسنينة (١٧ عاماً) يهرع العديد من وجهاء الخليل إلى السيارة الخاصة التي تستقلها وسط الجمهور المحتشد ويقومون بتقديم التعازي إلا أنها تردَّ عليهم قائلة: «أريدكم مهنئين ولا أريدكم معزين. ابني الشهيد مهم بالنسبة إلي، ولكن الأهم أن تحافظوا من بعده على القدس والمسجد الأقصى وحائط البراق»!!

وتتحدث ريم.. شقيقة الشهيد محمّد نمر مهاني بكل فخر واعتزاز بأخيها وبعمله فتقول:

«محمّد تربى في المساجد.. وحبّ القدس كان يسري في عروقه كسريان الدَّم في الشرايين.. وقد نهض لحماية المسجد الأقصى بعد أن دنسه الخنزير شارون بقدميه النجستين، إنَّ استشهاد محمّد "أبو النمر" فخر لنا ولشعبنا، وستظل ذكراه معلقة في القلوب والأذهان، إنه وإخوانه الشهداء يضيئون الطريق لغيرهم

(١) مجلة المعرفة، العدد ٦٦.

حتى العودة إلى القدس وتحريرها من الطغيان، (وأقسَمَت على أنها) ستواصل طريق الشهداء، حتى لو تحوَّل كل الشعب إلى شهداء في سبيل الأقصى وفلسطين، فرغم كل شيء، الأقصى يستحق منا أكثر من ذلك».

وتصف والدة الشهيد إسماعيل شحدة شملخ آخر لقاء لها به فتقول: «كان خلوقاً محباً لله لا يرى إلا باسماً، وإن كانت ابتسامته تنم عن حزن دفين في قلبه، فكان كثيراً ما يتألم إذا رأى منكراً ولو كان بسيطاً، ويحاول بقدر استطاعته أن يغيره، وكان شديد الحرص على صلاة قيام الليل، لقناعته أنّ مواجهة أعداء الله تحتاج إلى صبر واحتمال، فكان يعود نفسه دائماً القيام في الليل والسهر لعله يحقق أمنيته في جهاد العدو الصهيوني، وما إن اشتعلت انتفاضة الأقصى، ورأى شارون السفاح يزور الأقصى، حتى كادت روحه تصعق لكثرة تألمه وحزنه، فقرر أن يغادر القطاع ويذهب إلى الضفة الغربية ومن ثم إلى القدس ليجاهد أعداء الله، وأول ما سنحت له الفرصة غادر القطاع بسرعة. وتضيف والدته أنه كان دائماً يردد شعارات الشهادة ويوصيني بألا أحزن إذا فاز بها قائلاً لي: ألا تحبين يا أمي أن يفوز ولدك في الدنيا والآخرة، وأن يقي نفسه من شر نار جهنم، أيرضيك أن يعبث اليهود في قدس الأقداس، والمسجد الأقصى يتحكم فيه اليهود؟ إنَّ قتلي شهيداً مدافعاً عنه خير من حياتنا تحت ذل وقهر اليهود».

ولم تستطع أم الشهيد إسماعيل أن تحجب دموعها التي سقطت على وجنتيها وهي تكمل حديثها «لقد فاز وحقق جزءاً من أمنيته كان يتمنى أن يستشهد في ربوع الأقصى فنال الشهادة من أجله». أما زوجته التي شاركت أمه دموعها فقالت: «ولكن أحمد الله أن في أحشائي ابن إسماعيل فإذا قتل اليهود إسماعيل، وهو يدافع عن الأقصى فسيخرج من إسماعيل من يكمل المشوار عن أبيه، سأحسن تربيته ألقنه منذ يوم ميلاده أنّ اليهود أعداؤه وأعداء الله، فلا يتهاون معهم، ولا يترك حقه منهم، من قتلوا أبوه، ونزعوا من أيدينا مسرى رسول الله ﷺ».

أما الطفل محمّد يوسف أبو عاصي، البالغ من العمر تسع سنوات، فقد أوصى والدته قبل انطلاقه إلى مفرق الشهداء، قرب مستوطنة نتساريم جنوب غزة حيث استشهد، بهذه الكلمات القليلة في عددها، الكبيرة في معناها: «لا تبكي، وسأشفع لك عند الله، سأصبح شهيداً من أجل القدس».

يقول والده: «اعتاد محمّد علي الذهاب يومياً إلى مفرق الشهداء للمشاركة في المواجهات مع قوات الاحتلال»، وأضاف: «عندما شاهدت عمليات القصف الصاروخي وهجمات الطائرات، حاولت منعه من الذهاب لكنه في كل مرة كان يهرب، ويذهب إلى هناك.. لقد كان مشتاقاً للشهادة». وقالت والدة الشهيد وقد خنقتها العبرات: «قال لي مراراً إنه يريد الموت من أجل المسجد الأقصى والقدس، ويوم استشهاده أخبرني أنه يريد أن يذهب ويحارب اليهود»، وتضيف: «استعطفني واستحلفني بالله أن أسمح له بالذهاب، توسَّلتُ إليه أن أذهب معه، لكنه طلب مني البقاء في البيت لرعاية إخوته، فدعوت له وذهب». صعد محمّد أعلى المنزل قبل مشواره الأخير وبدأ يكتب الشعارات التي اعتاد عليها (خيبر خيبر يا يهود جيش محمّد سوف يعود)، (الله أكبر.. لا إله إلا الله)، وانطلق إلى ميدان المعركة. رصاص القنَّاصة الصهاينة المتمركزين عند مفرق الشهداء، لم يفرق بين طفل وشيخ وشاب، وحتى الحيوانات قتلها، واخترقت رصاصة صدر محمّد الغض، وخرجت من ظهره.. محمّد سقط شهيداً كما أراد. زملاء محمّد أبو عاصي وأصدقاؤه لم يتبق أمامهم سوى إلصاق صوره ولافتات النَّعي على الجدران التي تقول: إنّ محمّداً استشهد في سبيل الله من أجل القدس والمسجد الأقصى!!.

فهل نكون من أولئك الذين رأوا قوافل الشهداء تعرج أرواحهم من سماء المعراج ببيت المقدس وأكنافه المباركة، فتاقت نفوسهم وأرواحهم إلى اللحاق بهم، والفوز بما فازوا، به فنكون من الرجال المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقضوا نحبهم دون أن يبدلوا تبديلاً، أو من الذين ينتظرون

دورهم لنيل خير ما يختم به المسلم حياته: شهادة خالصة لوجهه على أرض مباركة أحبها الله وأحبها رسوله ﷺ وأصحابه والتابعين؟..

إلى ذلك الحين يحسن بي أن أختم هنا هذا البحث بحمد الله وشكره على واسع فضله وجليل كرمه، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه والتابعين.

إضاءة: بشارة من الحبيب المصطفى لكل من تعلق قلبه بالشهادة في سبيل الله أنّ أرض بيت المقدس توفر له فرصة الاصطفاء الإلهي بنيل الشهادة في سبيله وهو ما يحببها إلى قلوب عشاق الشهادة.. وما أكثرهم.

obeikandl.com